بنات حول الرسول صلى الله عليه وسلم

(١٠)



رضي الله عنها

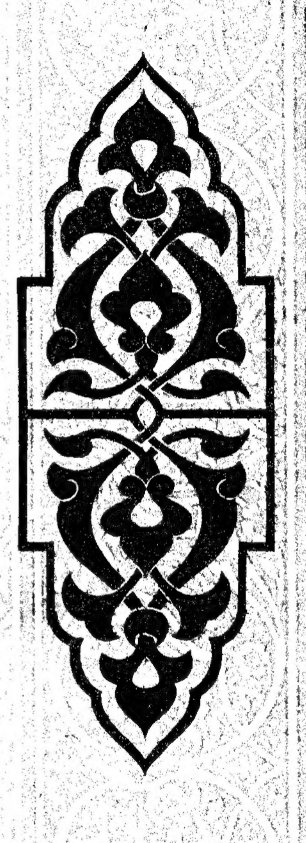
عقيلة بني هاشم

إبراهيم محمد حسن الجمل

دار الفضيلة



السَّـيِّدَةُ زَيْنَبُ بنتُ عَـلِيٍّ
(رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا)



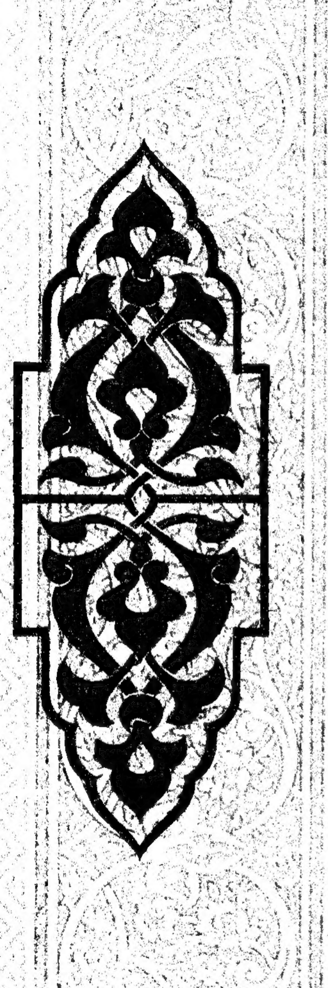
لُقِّبَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بنتُ الإمَام عَلِيٍّ بنِ أَبِى طَالِبٍ (رَضِيَ الله عنهُما) بِأَلْقَابٍ تَمَيَّزَتْ بِهَا فِى حَيَاتِهَا عَنْ غَيْرِهَا ، لُقِّبَتْ : بِصَاحِبَةِ الشُّورَى ، وَبِالعَابِدَةِ ، وَالمُنَاجِيَةِ ، وَبِأُمِّ الكُرَمَاءِ ، وَقَد اكْتَسَبَتْ هَذِهِ الأَلْقَابَ مِنَ الأعْمَالِ العَظِيمَةِ الَّتِى قَامَتْ بِهَا فِى حَيَاتِهَا ، فَاسْتَحَقَّتْ بِهَذَا الإجْلَالَ وَالتَّعْظِيمَ وَالإِكْبَارَ ، فَكَانَ هَذَا تَوْفِيقاً مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَالتَّوفِيقُ أَمْرٌ عَظِيمٌ لَا يَهَبُهُ اللهُ إِلَّا لإِنْسَانٍ عَظِيمٍ .

لُقِّبَتْ **بِصَاحِبَةِ الشُّورَى** فِى البَيْتِ العَلَوِيِّ ، حَيْثُ كَانَ أَبُوهَا وَإِخْوَتُهَا (رَضِيَ الله عنهُم) يُشَاوِرُونَهَا فِى كُلِّ الأُمُورِ .

وَبِالْعَابِدَةِ : لأَنَّهَا دَاوَمَتْ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ ، فَكَانَتْ تُوَاظِبُ عَلَى عِبَادَةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، تَصُومُ نَهَارَهَا ، وَتَقُومُ لَيْلَهَا مُتَأَسِّيَةً بِذَلِكَ بِمَا رَأَتْ مِنْ أُمِّهَا الزَّهْرَاءِ وَأَبِيهَا الإِمَامِ عَلِيٍّ بنِ أَبِى طَالِبٍ (رَضِيَ الله عنهُما) .

وَبِالمُنَاجِيَةِ : فَكَانَتْ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) تُنَاجِى رَبَّهَا كَثِيراً فِى شِعْرِهَا الَّذِى كَانَتْ تَقُولُهُ أَحْيَاناً ، وَفِى نَثْرِهَا .

وَكَانَتْ كَرِيمَةً تَجُودُ بِمَا فِى يَدِهَا حَتَّى قِيلَ لَهَا : **يَا أُمَّ الكُرَمَاءِ** ، رَضِيَ اللهُ عنهَا وَرَفَعَ مَكَانَتَهَا فِى أَعْلَى عِلِّيِّينَ .



عَلِيُّ بنُ أَبِى طَالِبٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ)

أَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عَمِّهِ أَبِى طَالِبٍ وَهُوَ صَغِيرٌ لَمْ يَتَجَاوَزِ الخَامِسَةَ لِيَعِيشَ مَعَهُ ، فَتَرَبَّى فِى بَيْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ ابنِ عَمِّهِ عَبْدِ اللهِ ، وَزَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) ، فَنَشَأَ عَلَى أَكْمَلِ الخِصَالِ وَأَحْسَنِ الفِعَالِ .

وَلَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً ﷺ بِرِسَالَةِ الإِسْلَامِ ، دَخَلَ عَلِيٌّ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) عَلَى ابنِ عَمِّهِ مُحَمَّد ﷺ فَوَجَدَهُ يُصَلِّى وَوَرَاءَهُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) ، فَرَاحَ يَتَأَمَّلُ هَذَا المَنْظَرَ الَّذِى لَمْ يَعْهَدْهُ مِن قَبْلُ ، ثُمَّ سَأَلَ نَفْسَهُ : مَا هَذَا العَمَلُ الجَدِيدُ الَّذِى يَفْعَلُهُ ابنُ عَمِّى ؟

لَا بُدَّ أَنَّ أَمْراً جَدِيداً قَد حَدَثَ !

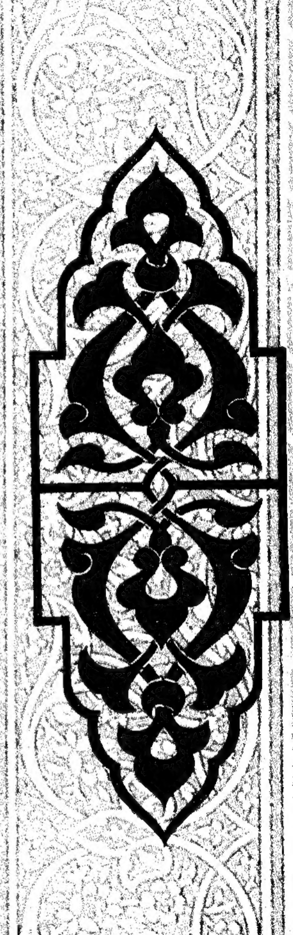
فَلَمَّا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، أَخْبَرَهُ بِمَا أَوْحَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيْهِ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بنُ أَبِى طَالِبٍ أَن يُؤْمِنَ بِمَا جَاءَ بِهِ .

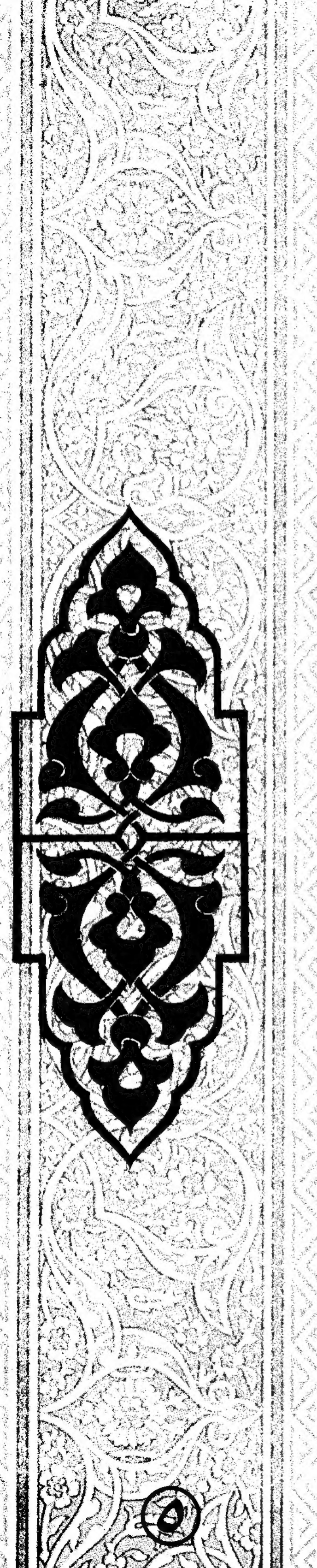
فَأَشَارَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَن يَسْتَشِيرَ أَبَاهُ أَبَا طَالِبٍ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ عَلِيٌّ (رَضِيَ الله عنهُ) قَائِلًا : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ اللهَ خَلَقَنِي دُونَ أَن يَسْتَشِيرَ أَبَا طَالِبٍ ، فَكَيْفَ أُمْسِكُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ حَتَّى أَسْتَشِيرَ أَبَا طَالِبٍ ! إِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَكَ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

حَدَثَ ذَلِكَ ، وَكَانَ عَلِيٌّ (رَضِيَ الله عنهُ) فِي العَاشِرَةِ مِنْ عُمْرِهِ ، وَهُوَ صَغِيرٌ ، فَكَانَ أَوَّلَ صَبِيٍّ دَخَلَ فِي الإِسْلَامِ .

ظَلَّ مُلَازِماً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، يَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، وَيَشُدُّ أَزْرَهُ ، وَيُنَاصِرُهُ ، وَيَحْفَظُ مَا يَنْزِلُ مِنْ آيَاتِ القُرْآنِ وَسُوَرِهِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الوَحْيَ وَيَسْطُرُ آيَاتِ وَسُوَرَ القُرْآنِ كُلَّمَا نَزَلَ بِهَا جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَلَا نَنْسَى مَوْقِفَهُ الفِدَائِيَّ فِي لَيْلَةِ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبِهِ مِن مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ .

فَقَدْ قَرَّرَ أَن يَنَامَ فِي مَكَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِن بَيْتِهِ ، وَالأَعْدَاءُ يُحِيطُونَ بالبَيْتِ ، يَتَرَقَّبُونَ أَن يَقُومَ مِن مَرْقَدِهِ ، لِيَتَخَلَّصُوا مِنْهُ ، لَقَد تَرَقَّبُوا قِيَامَهُ ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ مِن ثُقُوبِ بالبَابِ ، فَوَجَدُوا إِنْسَاناً نَائِماً مُتَدَثِّراً بِبُرْدِهِ ، فَظَنُّوهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَظَلُّوا فِي مَكَانِهِمْ حَتَّى نُورِ الصَّبَاحِ ، ثُمَّ اقْتَحَمُوا الدَّارَ ، فَرَأَوْا أَنَّ النَّائِمَ هُوَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَرَأَوْا أَنَّ قَتْلَهُ لَا يُفِيدُهُم شَيْئاً ، فَتَرَكُوهُ حَيًّا وَانْصَرَفُوا خَائِبِينَ .





لَقَد سَجَّلَ لَهُ التَّارِيخُ مَوَاقِفَ بُطُولِيَّةً تَبْدَأُ مِنْ أَوَّلِ مَعْرَكَةٍ فِي الإِسْلَامِ وَهِيَ غَزْوَةُ (بَدْرٍ) فَقَد خَرَجَ ثَلَاثَةٌ مِنَ المُشْرِكِينَ قَبْلَ بَدْءِ المَعْرَكَةِ يَطْلُبُونَ المُبَارَزَةَ ، فَبَادَرَ عَلِيٌّ إِلَى المُبَارَزَةِ ، وَبَادَرَ حَمْزَةُ عَمُّهُ ، وَعُبَيْدَةُ ابنُ الحَارِثِ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ ، وَدَارَ القِتَالُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ وَبَيْنَ ثَلَاثَةٍ مِن كِبَارِ مَكَّةَ وَهُمْ : عُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ ، وَأَخُوهُ شَيْبَةُ وَابْنُهُ الوَلِيدُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَيَّدَ اللهُ الثَّلَاثَةَ بِتَأْيِيدِهِ وَنَصْرِهِ ، فَانْتَصَرُوا عَلَى المُشْرِكِينَ الثَّلَاثَةِ .

وَمِن مَوَاقِفِهِ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) المَشْهُورَةِ مَوْقِفُهُ يَوْمَ غَزْوَةِ (أُحُدٍ) حِينَ خَرَجَ طَلْحَةُ بنُ أَبِي طَلْحَةَ حَامِلُ لِوَاءِ المُشْرِكِينَ يُنَادِي : هَلْ مَن يُبَارِزُنِي ؟ هَلْ مَنْ يُنَاجِزُنِي ؟ ، أَلَسْتُم تَقُولُونَ : إِنَّ أَرْوَاحَكُمْ تَصِيرُ إِلَى الجَنَّةِ ، وَأَنَّ أَرْوَاحَ الكَافِرِينَ تَصِيرُ إِلَى النَّارِ ؟ فَمَن مِنْكُم يُرِيدُ أَنْ أُعَجِّلَ بِرُوحِهِ إِلَى الجَنَّةِ أَوْ يُعَجِّلَ بِرُوحِي إِلَى النَّارِ ؟

فَبَرَزَ لَهُ عَلِيٌّ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) ، وَجَالَ مَعَهُ جَوْلَةً ، بَيْنَ فَتًى صَغِيرٍ وَفَاجِرٍ مِن فُجَّارِ الكَافِرِينَ ، وَلَكِنَّ الفَتَى عَلِيٌّ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) عَاجَلَهُ بِضَرْبَةٍ أَسْقَطَتْ كَتِفَهُ ، فَقَالَ : يَا ابنَ عَمِّي ، أُنَاشِدُكَ اللهَ وَالرَّحِمَ أَن تَكُفَّ عَنِّي .

فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ ، لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) : لِمَ لَمْ تَجْهَزْ[1] عَلَيْهِ ؟

---

(١) أي تقتله وتقضي عليه بسرعة .

فَقَالَ عَلِيٌّ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) : إِنَّهُ نَاشَدَنِي اللهَ وَالرَّحِمَ !

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ارْجِعْ فَاجْهِزْ عَلَيْهِ ، وَعَجِّلْ بِرُوحِهِ إِلَى النَّارِ ، وَبِئْسَ القَرَارُ »(١) .

★ ★ ★

وَمِن مَوَاقِفِ عَلِيٍّ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) الخَالِدَةِ مَا كَانَ مِنْهُ يَوْمَ غَزْوَةِ (الخَنْدَقِ) حِينَ وَقَفَ عمرُو بنُ عَبْدِ وَدٍّ العَامِرِيُّ ، وَكَانَ جَبَّاراً يَبْطِشُ بِكُلِّ جَبَّارٍ ، وَكَانَ الجَمِيعُ يَخْشَوْنَ بَأْسَهُ ، وَقَفَ يَتَحَدَّى ، وَيَطْلُبُ المُبَارَزَةَ ، وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ أَحَداً لَا يَجْرُؤُ عَلَى القِيَامِ لَهُ ، فَقَامَ لَهُ عَلِيٌّ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) ، وَاشْتَبَكَ مَعَهُ فِي قِتَالٍ رَهِيبٍ .

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي خِلَالِهِ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَيَقُولُ : « يَا رَبِّ إِنَّكَ أَخَذْتَ مِنِّي عُبَيْدَةَ ابنَ الحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَأَخَذْتَ مِنِّي حَمْزَةَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَهَذَا أَخِي عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ﴿ ... رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ ﴾(٢) فَمَا أَنْ أَتَمَّ دُعَاءَهُ حَتَّى كَانَ عَلِيٌّ قَد صَرَعَ الجَبَّارَ وَأَرْدَاهُ قَتِيلًا ، وَكَبَّرَ الصَّحَابَةُ فَرِحِينَ بِنَصْرِ اللهِ ، وَتَأْيِيدِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ »(٣) .

★ ★ ★

---

(١) راجع : البداية (٩/٤ - ٣٨) .
(٢) سورة الأنبياء : الآية (٨٩) .
(٣) راجع : البداية والنهاية (٩٢/٤ - ١١٦) .

كَانَ عَلِيٌّ (رَضِيَ الله عنهُ) يُرَاعِي العَدْلَ فِي كُلِّ شَيءٍ :

رُوِيَ أَنَّ يَهُودِيًّا ادَّعَى لِنَفْسِهِ حَقًّا عِنْدَ الإِمَامِ عَلِيٍّ (رَضِيَ الله عنهُ) ، وَرَفَعَ شَكْوَاهُ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ ابنِ الخَطَّابِ (رَضِيَ الله عنهُ) ، فَأَحْضَرَ عُمَرُ الخَصْمَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : قُمْ يَا أَبَا الحَسَنِ فَقِفْ إِلَى جَانِبِ خَصْمِكَ .

ظَهَرَ الامْتِعَاضُ [1] عَلَى وَجْهِ عَلِيٍّ (رَضِيَ الله عنهُ) .

فَقَالَ عُمَرُ (رَضِيَ الله عنهُ) : هَلْ أَسَاءَكَ وُقُوفُكَ إِلَى جَانِبِ خَصْمِكَ ؟

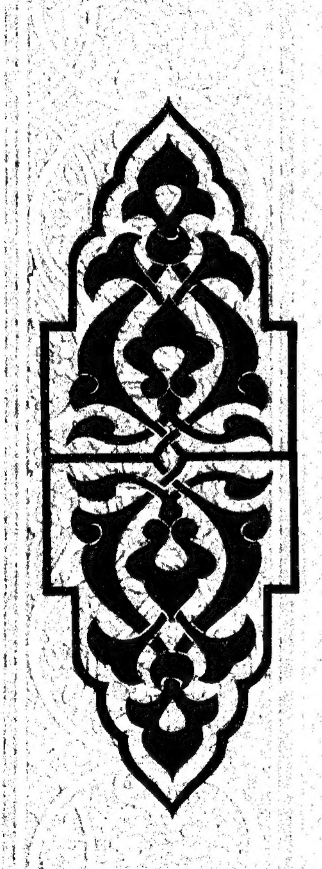
فَقَالَ عَلِيٌّ (رَضِيَ الله عنهُ) : لَا ، وَلَكِنَّكَ نَادَيْتَنِي بِالْكُنْيَةِ [2] ، وَلَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ مَعَ خَصْمِي .

كَانَ (رَضِيَ الله عنهُ) أَعْلَمَ النَّاسِ بِشَرِيعَةِ اللهِ ، وَدَقَائِقِ القَوْلِ ، وَفَهْمِ المَعَانِي الَّتِي يَدُلُّ عَلَيْهَا اللَّفْظُ .

قِيلَ لابنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ الله عنهُمَا) : مَا عِلْمُكَ إِلَى جَانِبِ عِلْمِ ابنِ عَمِّكَ عَلِيٍّ ؟

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ (رَضِيَ الله عنهُ) : كَقَطْرَةٍ إِلَى البَحْرِ المُحِيطِ !

وَفِي جِلْسَةٍ لِمُعَاوِيَةَ (رَضِيَ الله عنهُ) قَالَ : يَا ضِرَارُ ، صِفْ لِي عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ .



---

(١) أي الضيق .

(٢) **الكُنْيَةُ** : هِيَ مَا بُدِئَتْ بِأَبٍ أَوْ أُمٍّ ، كَأَبِي مُحَمَّدٍ وَأُمِّ مُحَمَّدٍ ، وَغَالِباً مَا تستعملُ للتَّعْظِيمِ .

فَقَالَ ضِرَارُ (رَضِىَ الله عنهُ) : اعْفِنِى يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ .

قَالَ مُعَاوِيَةُ (رَضِىَ الله عنهُ) : لَتَصِفَنَّهُ .

قَالَ ضِرَارُ (رَضِىَ الله عنهُ) : أَمَا إِذْ لَا بُدَّ مِن وَصْفِهِ ، فَكَانَ وَاللهِ بَعِيدَ المَدَى ، شَدِيدَ القُوَى ، يَقُولُ فَصْلًا ، وَيَحْكُمُ عَدلًا ، يَتَفَجَّرُ العِلْمُ مِن جَوَانِبِهِ ، وَتَنْطِقُ الحِكْمَةُ مِن نَوَاحِيهِ ، يَسْتَوْحِشُ الدُّنْيَا وَزَهْرَتَهَا ، وَيَأْنَسُ إِلَى اللَّيْلِ وَوَحْشَتِهِ ، وَكَانَ غَزِيرَ العَبْرَةِ [1] طَوِيلَ الفِكْرَةِ ، وَيُعْجِبُهُ مِنَ اللِّبَاسِ مَا قَصُرَ ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا خَشُنَ ... وَنَحْنُ وَاللهِ مَعَ تَقْرِيبِهِ إِيَّانَا ، وَقُرْبِهِ مِنَّا لَا نَكَادُ نُكَلِّمُهُ هَيْبَةً لَهُ .

يُعَظِّمُ أَهْلَ الدِّينِ ، وَيُقَرِّبُ المَسَاكِينَ ، وَلَا يَطْمَعُ القَوِىُّ فِى بَاطِلِهِ ، وَلَا يَيْأَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ ، وَأَشْهَدُ لَقَد رَأَيْتُهُ فِى بَعْضِ مَوَاقِفِهِ ، وَقَد أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ [2] ، وَغَارَتْ [3] نُجُومُهُ ، قَابِضاً عَلَى لِحْيَتِهِ ، يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ ، وَيَبْكِى بُكَاءَ الحَزِينِ ، وَيَقُولُ (رَضِىَ الله عنهُ) : يَا دُنْيَا غُرِّى غَيْرِى ، أَإِلَىَّ تَعَرَّضْتِ ؟ أَمْ إِلَىَّ تَشَوَّفْتِ ؟ هَيْهَاتَ ! قَد طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا ، فَعُمْرُكِ قَصِيرٌ ، وَخَطَرُكِ قَلِيلٌ .

آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ ، وَبُعْدِ السَّفَرِ ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ .

---

(١) العَبْرَةُ : الدَّمْعَةُ . (٢) السدل : الستر .
(٣) أى غابت .

تُرَى مَن تَكُونُ ابنَتُهُ زَيْنَبُ (رَضِىَ الله عنهَا) الَّذِى يَمْتَازُ أَبُوهَا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ؟؟!!

لَقَد أَخَذَتْ مِنْ أَبِيهَا الكَثِيرَ مِنَ الصِّفَاتِ ، فَاشْتَهَرَتْ مِنْ خِلَالِهَا (رَضِىَ الله عنهَا) .

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا)

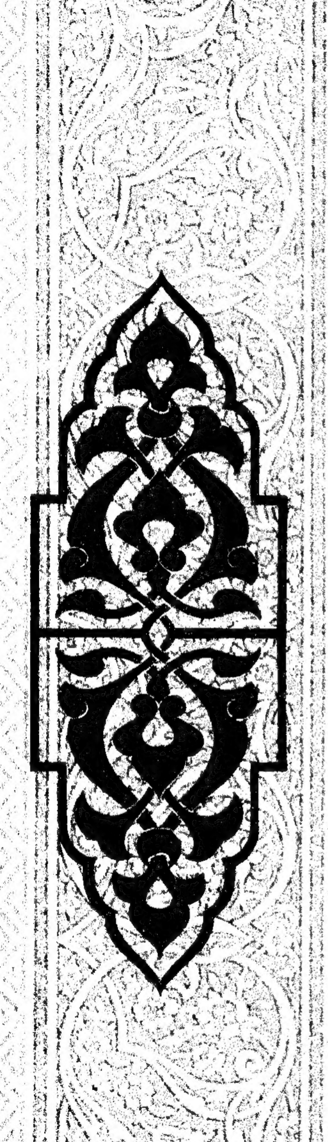
هِىَ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ بنتُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ﷺ ، وَأُمُّهَا السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ أُمُّ المُؤْمِنِينَ الأُولَى (رَضِىَ الله عنهَا) ، وَقَد عُرِفَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بَيْنَ قُرَيْشٍ قَبْلَ النُّبُوَّةِ بالطَّاهِرَةِ .

وَالسَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ أُمُّ زَيْنَب (رَضِىَ الله عنهُما) هِىَ رَابِعَةُ بَنَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَقَد سُرَّ وَالِدُهَا بِموْلِدِهَا سُرُوراً كَبِيرًا ، وَكَانَتْ وِلَادَتُهَا قَبْلَ البَعْثَةِ بِحَوَالَىْ خَمْسِ سَنَوَاتٍ فِى اليَوْمِ الَّذِى حَكَّمَ فِيهِ سَادَاتُ مَكَّةَ فِى الجَاهِلِيَّةِ مُحَمَّدَ بنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ لِيَضَعَ الحَجَرَ الأَسْوَدَ مَكَانَهُ ، وَكَانَ قَد وَقَعَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ شَدِيدٌ وَكَادَ أَن تَقُومَ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ ضَرُوسٌ[1] تَقْضِى عَلَيْهِمْ .

كَانَتْ (رَضِىَ الله عنهَا) تُشْبِهُ أَبَاهَا ﷺ فِى كُلِّ شَىْءٍ حَتَّى مِشْيَتِهَا ، لِهَذَا اشْتَدَّ حُبُّهُ ﷺ لَهَا .

شَهِدَتْ فِى طُفُولَتِهَا المُبَكِّرَة مَطْلَعَ فَجْرِ النُّبُوَّةِ فَآمَنَتْ وَهِىَ صَغِيرَةٌ ، وَعَرَفَتْ مَا جَاءَ بِهِ أَبُوهَا مِنَ الحَقِّ وَقَد بُعِثَ إِلَى جَمِيعِ الخَلْقِ ، وَكَانَ إِيمَانُهَا مَعَ

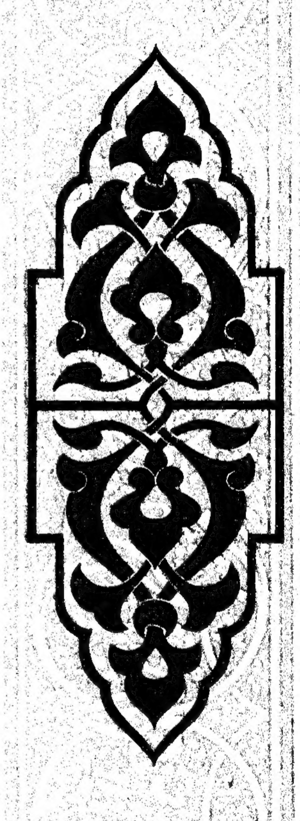
(١) حَرْبٌ ضَرُوسٌ : شديدة مُهْلِكة .



أَخَوَاتِهَا زَيْنَب ، وَرُقَيَّة ، وَأُمِّ كُلْثُومٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُنَّ) ، وَلَمْ تَحْظَ وَاحِدَةٌ مِنْ أَخَوَاتِهَا بِمَا حَظِيَتْ بِهِ فَاطِمَةُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) ، فَقَدْ دَافَعَتْ عَنْهُ كَثِيراً ضِدَّ الَّذِينَ كَانُوا يُؤْذُونَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِى مَكَّةَ .

كَانَتْ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) تَبْذُلُ أَقْصَى مَا فِى وُسْعِهَا مِنْ عَوْنٍ لِأَبِيهَا فِى مُوَاجَهَةِ مُؤَامَرَاتِ خُصُومِهِ ، وَمِنْ أَبْرَزِ مُؤَامَرَاتِهِمْ حِينَمَا كَانَ يُصَلِّى عِنْدَ الكَعْبَةِ ، وَجَاءَ أَشْقَاهُمْ بِسَلَى جَزُورٍ [1] فَوَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ الشَّرِيفِ وَهُوَ رَاكِعٌ ، فَظَلَّ رَاكِعاً حَتَّى لَا تَسْقُطَ القَاذُورَاتُ عَلَى أَرْضِ الحَرَمِ ، وَجَاءَتْهُ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ الصَّغِيرَةُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) فَجَمَعَتْ مَا وُضِعَ عَلَى ظَهْرِهِ الشَّرِيفِ ﷺ ، وَرَاحَتْ تَدْعُو عَلَى القَوْمِ ، وَتُزِيلُ مَا عَلَقَ بِثِيَابِ أَبِيهَا وَالدُّمُوعُ تَتَسَاقَطُ مِنْ عَيْنَيْهَا .

وَمِمَّا يُذْكَرُ أَنَّ الزَّهْرَاءَ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) وَهِىَ صَغِيرَةٌ مَرَّ بِهَا أَبُو جَهْلٍ ، فَلَمْ تَكْتُمْ بُغْضَهَا لَهُ وَهُوَ الَّذِى كَانَ دَائِمَ الإِسَاءَةِ لِأَبِيهَا ، فَأَخَذَتْ تَشْتُمُهُ ، فَلَطَمَهَا [2] عَلَى وَجْهِهَا دُونَ حَيَاءٍ مِنْ هَذَا العَمَلِ القَبِيحِ ، فَبَكَتِ الزَّهْرَاءُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) ، وَتَصَادَفَ أَن مَرَّ بِهَا أَبُو سُفْيَانَ ، فَسَأَلَهَا عَن سَبَبِ بُكَائِهَا ، فَأَخْبَرَتْهُ بِصَنِيعِ



(١) **سَلَى جزور : السَّلَى** : الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه ، **والجَزُور** : ما يصلح لأن يذبح من الإبل .

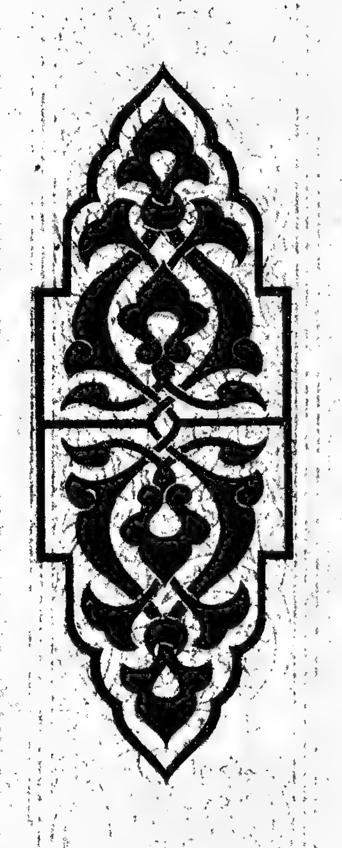
(٢) أى ضربها على خدها .

أَبِى جَهْلٍ ، فَأَخَذَهَا مَعَهُ وَأَتَى أَبَا جَهْلٍ ، وَقَالَ لَهَا : الْطِمِيهِ كَمَا لَطَمَكِ .

فَلَطَمَتْهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَجَعَتْ مَسْرُورَةً ضَاحِكَةً .

فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلَهَا عَن سَبَبِ سُرُورِهَا ، فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ ، وَبِمَا كَانَ مِن صَنِيعِ أَبِى سُفْيَانَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اللهُ لَا تَنْسَهَا لِأَبِى سُفْيَانَ » .

وَكَانَ ذَلِكَ سَبَباً فِى أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ اهْتَدَى فِى النِّهَايَةِ ، وَأَسْعَدَهُ اللهُ باتِّبَاعِ الحَقِّ ، وَالدُّخُولِ فِى الإِسْلَامِ .



أَخَذَتِ الزَّهْرَاءُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) تَنْمُو ، وَتَنْمُو مَعَهَا مَوَاهِبُهَا ، وَعُلُومُهَا وَإِحَاطَتُهَا بِآيَاتِ القُرْآنِ وَسُوَرِهِ ، وَأَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، حَتَّى كَانَتِ الهِجْرَةُ إِلَى المَدِينَةِ ، وَاسْتَقَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَبَعَثَ مَنْ أَتَى بِهَا وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَيْهِ فِى دَارِ الهِجْرَةِ .

وَفِى السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الهِجْرَةِ ، كَانَتِ الأُمُورُ قَد اسْتَقَرَّتْ فِى المَدِينَةِ ، وَاتَّجَهَتِ الأَنْظَارُ إِلَى خِطْبَةِ الزَّهْرَاءِ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) بُغْيَةَ خِطْبَتِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « انْتَظِرْ بِهَا قَضَاءَ اللهِ » .

وَتَقَدَّمَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ لِخِطْبَةِ فَاطِمَةَ (رَضِىَ اللهُ عنهُما) ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَفْسَ مَا قَالَهُ لِأَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) .

فَجَاءَ عَلِيٌّ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) يَمْشِى عَلَى اسْتِحْيَاءٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَجَلَسَ بَعْضَ الوَقْتِ ، فَأَحَسَّ الرَّسُولُ ﷺ بِأَنَّ عَلِيًّا لَهُ حَاجَةٌ ، فَسَأَلَهُ عَن حَاجَتِهِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) وَهُوَ فِى كَثِيرٍ مِنَ الحَيَاءِ : أَذْكُرُ فَاطِمَةَ بنتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَرْحباً وَأَهْلًا » .

فَرَجَعَ إِلَيْهِ فِى اليَوْمِ التَّالِى ، وَفَاتَحَ الرَّسُولَ ﷺ فِى الأَمْرِ ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : هَلْ عِنْدَكَ شَىْءٌ تُقَدِّمُهُ مَهْراً ؟

فَقَالَ عَلِيٌّ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : يَا رَسُولَ اللهِ ! مَا عِنْدِى شَىْءٌ .

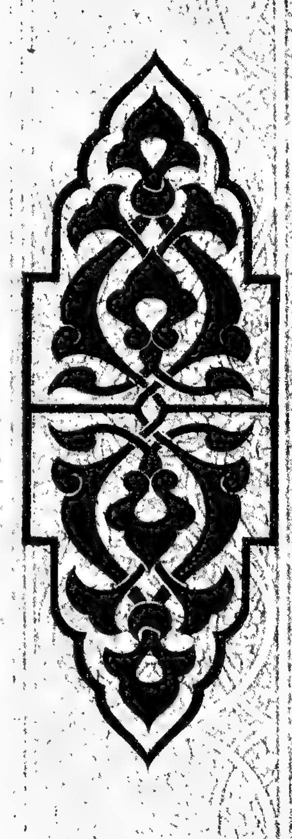
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَيْنَ دِرْعُكَ الَّتِى أَعْطَيْتُكَهَا يَوْمَ بَدْرٍ ؟

قَالَ عَلِيٌّ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : عِنْدِى .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَقَدِّمْهَا مَهْراً لِفَاطِمَةَ » .

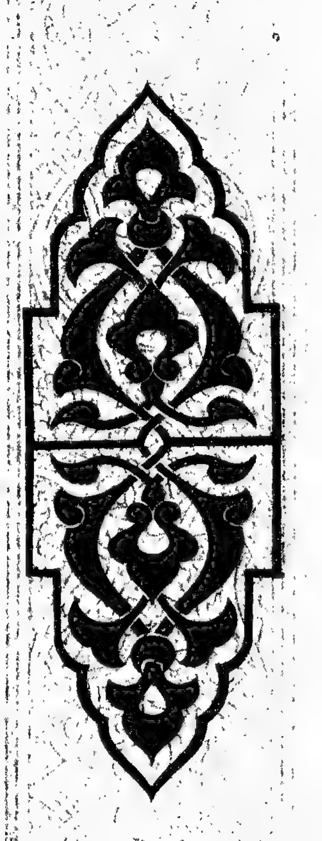
ثُمَّ اشْتَرَاهَا عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) بِأَرْبعِمائَةِ دِرْهَمٍ ، فَدَفَعَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَزَوَّجَهَا لِعَلِيٍّ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ [1] .

وَجَاءَ يَوْمُ الزِّفَافِ ، وَزُفَّتْ فَاطِمَةُ إِلَى عَلِيٍّ (رَضِىَ الله عنهما) ، وَحَضَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَدَعَا بِمَاءٍ



---

(١) راجع : البداية والنهاية (٣/٣٤٥) .



فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ أَخَذَ يَرُشُّ مِن مَاءِ وُضُوئِهِ عَلَى ابْنَتِهِ (رَضِىَ الله عنهَا) وَهُوَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » .

وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ مَعَ عَلِىِّ بنِ أَبِى طَالِبٍ (رَضِىَ الله عنهُ) ، ثُمَّ دَعَا لَهُمَا قَائِلًا : « بَارَكَ الله فِيكُمَا وَعَلَيْكُمَا ، وَأَخْرَجَ مِنْكُمَا الكَثِيرَ الطَّيِّبَ ، وَجَعَلَ ذُرِّيَّتَكُمَا مَصَابِيحَ الرَّحْمَةِ وَمَعَادِنَ الحِكْمَةِ ، وَأَمْنَ الأُمَّةِ »[1] .

★ ★ ★

بَارَكَ الله فِى حَيَاتِهَا ، وَأَفَاضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ حُبِّهِ الكَثِيرَ ، وَبَارَكَ الله فِى ذُرِّيَّتِهَا ، فَذَهَبُوا إِلَى رَبِّهِمْ شُهَدَاءَ ، وَرَفَعَ الله دَرَجَاتِهِمْ ـ إِن شَاءَ الله ـ فِى الآخِرَةِ ، فَرَضِىَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

إِنَّ صَلَاحَ الأَبِ وَالأُمِّ يَنْفَعُ الابْنَ ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا جَاءَ فِى كِتَابِ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ...** ﴾[2]

وَهذَا الصَّلَاحُ يَنْفَعُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

★ ★ ★

---

(١) المرجع السابق .

(٢) سورة الكهف : الآية (٨٢) .

المَوْلُودُ الجَدِيدُ

كَانَتِ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) عَلَى وشَكِ أَن تَضَعَ مَوْلُودَهَا ، حِينَمَا دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخْبِرُهَا بِأَنَّهُ سَيَغِيبُ عَنِ المَدِينَةِ بِضْعَةَ أَيَّامٍ .

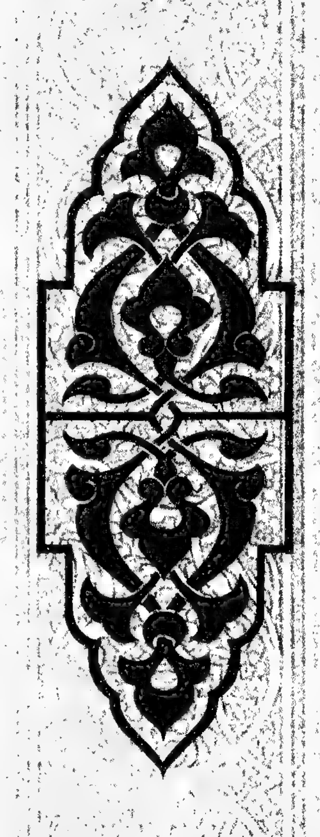
قَالَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) : ادْعُ الله أَن أَلِدَ مَوْلُودِى هَذَا ، وَأَنْتَ بِجَانِبِى يَا رَسُولَ اللهِ ، فَإِنِّى أَرَانِى خَائِفَةً هَذِهِ المَرَّة بَعْدَ وِلَادَةِ الحَسَنِ ، وَالحُسَيْنِ ، وَمُحْسِن (رَضِىَ الله عنهُم) .

قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَخَافِى يَا فَاطِمَةُ ، فَالله مَعَكِ ، وَمَن كَانَ الله مَعَهُ لَا يَخَافُ أَبَداً » .

وَوَلَدَتِ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) ... وَعَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن رِحْلَتِهِ ، وَقَابَلَهُ البَشِيرُ وَهُوَ خَارِجُ المَدِينَةِ ، وَقَالَ لَهُ : أَبْشِرْ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَقَد وَلَدَتْ فَاطِمَةُ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « حَمْداً لله وَشُكْراً ، وَلَمْ يَذْهَب إِلَى بَيْتِهِ ، وَإِنَّمَا دَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ الغَالِيَةِ ، وَنَادَى عَلَى فَاطِمَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا فَأَجَابَتْ : حَمْداً لله وَشُكْراً لَهُ » .

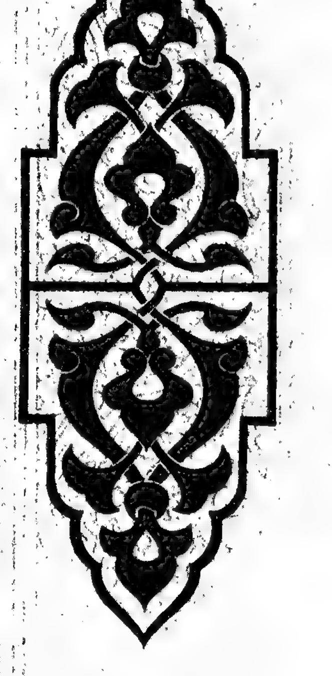
ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَاوِلِينِى مَوْلُودَكِ يَا زَهْرَاءُ ، ثُمَّ أَذَّنَ فِى الأُذُنِ اليُمْنَى ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ فِى الأُذُنِ اليُسْرَى » .



سَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « هَلْ سَمَّيْتِ مَوْلُودَتِكِ » ؟

قَالَتْ **فَاطِمَةُ** (رَضِىَ اللهُ عنهَا) : سَمِّهَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ .

سَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَلِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّهَا زَيْنَبُ ! إِن شَاءَ اللهُ »[1] .



اسمٌ وَذِكْرَيَاتٌ

كَانَ اسْمُ زَيْنَبَ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) مِنْ أَحَبِّ الأَسْمَاءِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَهُوَ اسْمٌ اخْتَارَهُ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) لابْنَتِهِ الَّتِى بُشِّرَ بِهَا مِنَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) ، وَكَانَتْ أَوَّلَ فَرْحَةٍ لَهُ وَللسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ، وَقَدْ أَحْسَنَتْ تَرْبِيَتَهَا ، وَكَانَتِ الزَّهْرَةَ الأُولَى فِى البَيْتِ ، وَبِتَسْمِيَتِهِ لابْنَةِ بِنْتِهِ فَاطِمَةَ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) إِعَادَةٌ للذِّكْرَى العَاطِرَةِ لَهُ ، فَرَحِمَ زَيْنَبَ ابْنَتَهُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) ، وَدَعَا لِبِنْتِ ابْنَتِهِ بالسَّعَادَةِ .



---

(١) راجع : طبقات ابن سعد (٣٤٠/٨) .

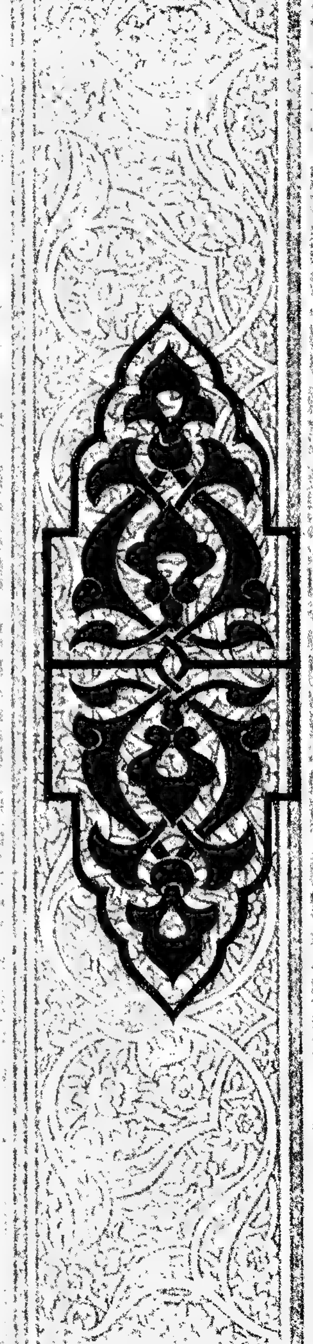
فَـرَحٌ وَسَـعَادَةٌ

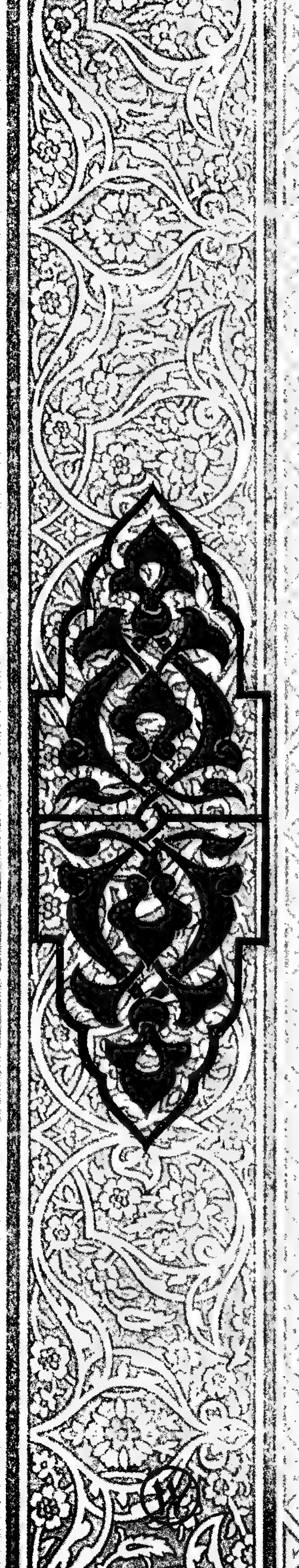
أَقْبَلَ أَهْلُ المَدِينَةِ أَنْصاراً وَمُهَاجِرِينَ يُهَنِّئُونَ الزَّهْرَاءَ (رَضِىَ الله عنهَا) ، وَيُبَارِكُونَ هَذِهِ المَوْلُودَةَ فِى بَيْتِ النُّبُوَّةِ ، وَيَدْعُونَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهَا أَنْ يَحْفَظَهَا وَيَرْعَاهَا .

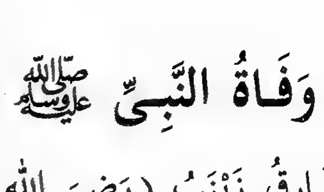
كَانَتْ أُمُّهَا فَرِحَةً بِهَا وَهِىَ تَنْمُو وَتَكْبُرُ ، وَجَدُّهَا يُدَاعِبُهَا وَيُنَادِيهَا باسْمهَا العَزِيزِ ، إِلَى أَن تَجَاوَزَتِ الثَّالِثَةَ مِنْ عُمْرِهَا المَجِيدِ ، وَمَا كَادَتْ تُتِمُّ الرَّابِعَةَ مِنَ العُمْرِ حَتَّى أَخَذَتْ تَتْلُو شَيْئاً مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ بِمَسْمَعٍ مِنْ أَبِيهَا ، ثُمَّ رَاحَتْ تَسْأَلُ عَن تَفْسِيرِ بَعْضِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ ، يَسْبِقُهَا إِلَى ذَلِكَ ذَكَاءٌ نَادِرٌ ، وَفَهْمٌ مُوَفَّقٌ .

كَانَتْ (رَضِىَ الله عنهَا) تَذْهَبُ إِلَى المَسْجِدِ ، وَتَسْتَمِعُ إِلَى جَدِّهَا ﷺ وَهُوَ يُخَاطِبُ أَصْحَابَهُ وَيُعَلِّمُهُم وَتَرجِعُ إِلَى أُمِّهَا لِتَتْلُوَ عَلَيْهَا مَا عَرَفَتْ وَسَمِعَتْ ، وَأَحْيَاناً كَانَتْ تُنَاقِشُهَا ، وَتَتَعَرَّفُ مِنْهَا عَلَى مَا لَمْ تكُن قَد وَعَتْهُ ، فَكَانَتِ الأُمُّ العَظِيمَةُ تزيدُ مَعْلُومَاتِهَا وَهِىَ فَرِحَةٌ مَسْرُورَةٌ ، وَلَمْ تَكُنْ جَاوَزَت طُفُولَتَهَا الأُولَى .

كَانَ وَالِدُهَا الإِمَامُ عَلِىّ (رَضِىَ الله عنهُ) يَزِيدُ مِن مَعْرِفَتِهَا ، وَرُبَّمَا حَدَّثَهَا عَنْ أَحْوَالِ المُسْلِمِينَ فِى مَكَّةَ وَأَسْمَعَهَا الكَثِيرَ مِمَّا قَابَلَ جَدَّهَا وَالمُسْلِمِينَ مِنَ الإِيذَاءِ وَالتَّعْذِيبِ .







وَفَاةُ النَّبِىِّ ﷺ

مَا تَكَادُ تُفَارِقُ زَيْنَبُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) السَّنَةَ الخَامِسَةَ مِنْ عُمْرِهَا حَتَّى أَخَذَتْهَا أُمُّهَا ، وَذَهَبَتْ بِهَا إِلَى بَيْتِ جَدِّهَا ﷺ ، وَكَانَتْ تَعُودُهُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَكَانَتِ الدُّمُوعُ تَتَسَاقَطُ مِنْ عَيْنَىْ أُمِّهَا ، فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَبْكِى لِبُكَاءِ أُمِّهَا وَحُزْناً عَلَى جَدِّهَا ﷺ .

كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ أُمُّهَا عَلَيْهِ ﷺ قَبَّلَتْهُ ، فَقَالَ لَهَا : مَرْحَباً بِابْنَتِى ، ثُمَّ أَجْلَسَهَا إِلَى جَانِبِهِ ، وَأَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثاً فَبَكَتْ ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثاً آخَرَ فَضَحِكَتْ .

تَعَجَّبَتْ زَيْنَبُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) مِمَّا دَارَ بَيْنَ أُمِّهَا وَجَدِّهَا ، لَكِنَّهَا سَكَتَتْ ، وَقَد رَأَتْ أَنَّ جَدَّهَا ﷺ يَتَوَجَّعُ مِنْ أَثَرِ مَا بِهِ مِنَ المَرَضِ .

كَانَتْ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) تَرَاهُ وَقَد اشْتَدَّ بِهِ المَرَضُ فَيَسْكُتُ ، وَتُكَلِّمُهُ أُمُّهَا (رَضِىَ اللهُ عنهَا) فَلَا يَرُدُّ عَلَيْهَا ، حَتَّى لَقَد قَالَتْ يَوْماً ، وَقَد حَزَّ الأَلَمُ فِى نَفْسِهَا لِشِدَّةِ أَلَمِ أَبِيهَا : وَاكَرْبَ أَبَتَاهُ !

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا كَرْبَ عَلَى أَبِيكِ بَعْدَ اليَوْمِ » ...

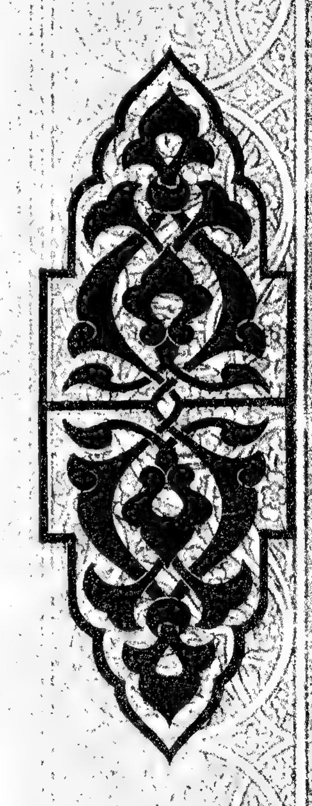
ثُمَّ رَأَتْ زَيْنَبُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) جَدَّهَا ﷺ وَقَد حَفَرُوا لَهُ حُفْرَةً ، ثُمَّ لَفُّوهُ بِقُمَاشٍ أَبْيَضَ ، ثُمَّ

أَنْزَلُوهُ فِيهَا فَعَلِمَتْ أَنَّهُ المَوْتُ ، وَأَنَّ جَدَّهَا ﷺ قَدْ مَاتَ وَانْتَقَلَ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى ، وَانْقَطَعَتْ صِلَتُهُ بِالحَيَاةِ الَّتِي يَعِيشُهَا [١] .

وَفَاةُ الأُمِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

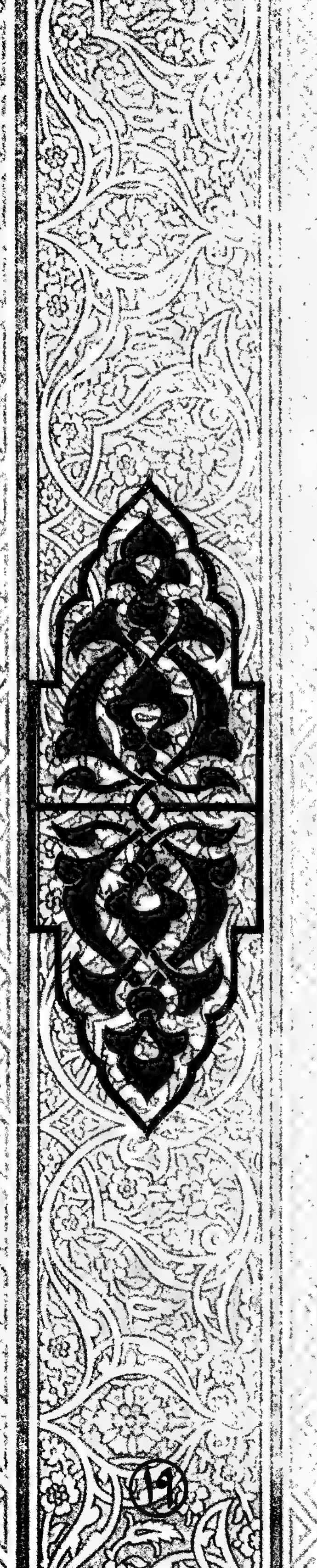
وَلَمْ تَمْضِ إِلَّا أَشْهُرٌ قَلِيلَةٌ ، حَتَّى وَجَدَتْ زَيْنَبُ أُمَّهَا (رَضِيَ الله عنهما) وَقَد أَصَابَهَا مَرَضٌ شَدِيدٌ ، إِلَّا أَنَّهَا تُقَرِّبُهَا مِنْهَا ، ثُمَّ تَنْظُرُ إِلَيْهَا ، وَتُقَبِّلُهَا ، وَيَدُورُ بِخَلَدِهَا [٢] أَنَّ أُمَّهَا سَتَذْهَبُ إِلَى جَدِّهَا ، ثُمَّ تَسِيرُ مَعَ النَّاسِ إِلَى (البَقِيعِ) فَيَحْفُرُونَ حُفْرَةً تُشْبِهُ الحُفْرَةَ الَّتِي أَنْزَلُوا فِيهَا جَدَّهَا ﷺ ، وَتَرَى زَيْنَبُ (رَضِيَ الله عنهَا) النَّاسَ يَبْكُونَ ، فَتَبْكِي وَتَصْرُخُ ، فَتَأْخُذُهَا إِحْدَى القَرِيبَاتِ ، وَلَكِنَّهَا تَنْظُرُ مِن بَعِيدٍ ، فَتَرَى التُّرَابَ يَنْهَالُ عَلَى حُفْرَةِ أُمِّهَا ، وَقَد فَعَلُوا بِهَا كَمَا فَعَلُوا بِجَدِّهَا ﷺ .

وَيَسْكُتُ النَّاسُ ، وَأَبُوهَا يَتَكَلَّمُ ، فَتُصْغِي زَيْنَبُ إِلَى كَلَامِ أَبِيهَا عَلِيٍّ (رَضِيَ الله عنهما) فَيَقُولُ : (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله عَنِّي وَعَنْ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ ، قَلَّ يَا رَسُولَ اللهِ عَن صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي ، إِلَّا أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ !



---

(١) راجع : البداية (٥/٢٣١ - ٢٣٥) .
(٢) **الخَلَدُ** : البال والنفس .



﴿ ... إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[1] فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الوَدِيعَةُ ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ ، أَمَّا حُزْنِى فَسَرْمَدِىٌّ[2] ، وَأَمَّا لَيْلِى فَمُسَهَّدٌ ، إِلى أَن يَخْتَارَ اللهُ لِى دَارَكَ الَّتِى أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ ، والسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ ! فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَن مَلَالَةٍ ، وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَن سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ) .

رَجَعَتْ زَيْنَبُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) إِلَى البَيْتِ ، فَلَمْ تَجِدْ بِهِ مَن يُذْهِبُ عَنْهَا الحُزْنَ وَالأَلَمَ إِلَى أَن تَزَوَّجَ أَبُوهَا أَسْمَاءَ بنتَ عُمَيْسٍ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) ، فَجَاءَتْ وَمَعَهَا أَوْلَادُهَا مِنْ عَمِّهَا جَعْفَرِ بنِ أَبِى طَالِبٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) ، فَكَانَ فِى مُعَاشَرَتِهَا لَهَا وَمُعَاشَرَةِ أَوْلَادِهَا تَسْلِيَةٌ وَعَزَاء[3] .

الزَّوَاجُ السَّعِيدُ

جَاوَزَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) العَاشِرَةَ بِقَلِيلٍ ، وَكَمَا هِىَ العَادَةُ ، تَقَدَّمَ الخُطَّابُ إِلَى أَبِيهَا الإِمَامِ عَلِىٍّ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) مِن شَبَابِ بَنِى هَاشِمٍ وَقُرَيْشٍ مِن ذَوِى الشَّرَفِ وَالثَّرَاءِ ، وَمَا كَانَ لِأَبِيهَا أَن يَذْهَبَ بَعِيداً ، فَالْعَرِيسُ يَعِيشُ مَعَهُ فِى بَيْتِهِ ، إِنَّه عَبْدُ اللهِ ابنُ جَعْفَرٍ ابنُ أَخِيهِ ، وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بنتُ عُمَيْسٍ الَّتِى تَزَوَّجَهَا عَلِىٌّ بنُ أَبِى طَالِبٍ بَعْدَ مَوْتِ زَوْجِهَا الخَلِيفَةِ

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٥٦) . (٢) أى دائمٌ لا ينقطعُ .
(٣) راجع : البداية (٦/٣٣٢) .

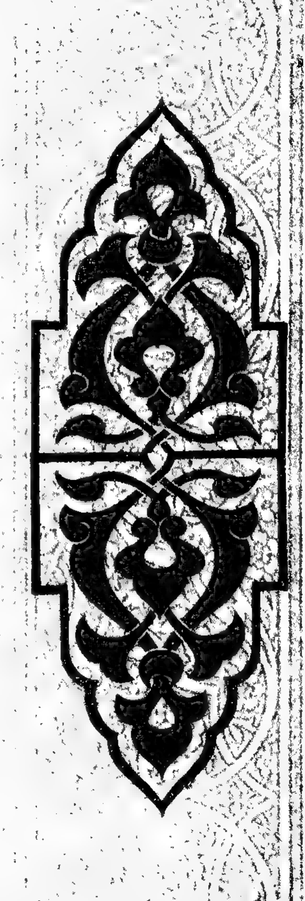
أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) ، فَقَد كَفَلَ عَلِىٌّ أَوْلَادَ أَخِيهِ جَعْفَرٍ ، وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَرٍ .

وُلِدَ عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَرٍ فِى الحَبَشَةِ ، فِى أَيَّامِ هِجْرَةِ جَعْفَرٍ وَالِدِهِ وَأُمِّهِ أَسْمَاءَ بنتِ عُمَيْسٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ يُولَدُ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْحَبَشَةِ .

وَجَعْفَرُ بنُ أَبِى طَالِبٍ ، أَخُو عَلِىِّ بنِ أَبِى طَالِبٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُمَا) غَنِىٌّ عَنِ التَّعْرِيفِ ، فَهُوَ الشَّهِيدُ ذُو الجَنَاحَيْنِ الَّذِى يَطِيرُ بِهِمَا فِى الجَنَّةِ ، كَمَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

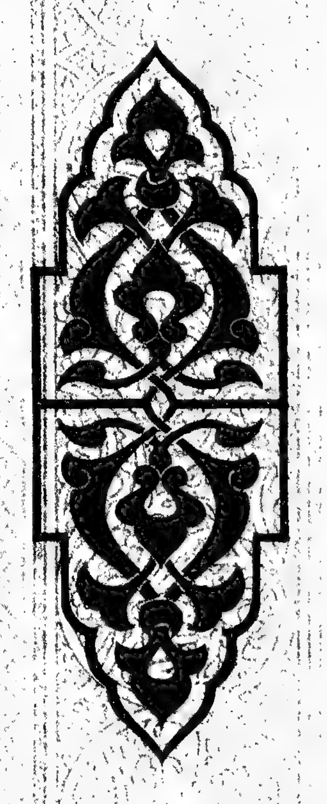
هَاجَرَ أَبُوهُ جَعْفَرٌ بِدِينِهِ مِن مَكَّةَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُما) ، وَظَلَّ بِهَا بِضْعَ سِنِينَ يَتَحَدَّثُ عَنِ المُسْلِمِينَ وَباسْمِهِمْ أَمَامَ النَّجَاشِىِّ ، ثُمَّ رَجَعَ مَعَ مَنْ رَجَعَ مِنَ المُسْلِمِينَ إِلَى المَدِينَةِ ، وَقَد صَادَفَ وُصُولَهُ إِلَى المَدِينَةِ فَتْحُ (خَيْبَرَ) فَفَرِحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِ ، وَجَعَلَ يُقَبِّلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ : « مَا أَدْرِى بِأَيِّهِمَا أَنَا أَشَدُّ فَرَحاً : بِقُدُومِ جَعْفَرٍ ، أَمْ بِفَتْحِ خَيْبَرَ ؟ » [1] .

وَجَعْفَرٌ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) شَهِيدُ غَزْوَةِ (مُؤْتَةَ) فَقَد تَوَلَّى قِيَادَةَ الجَيْشِ فِى مَعْرَكَةٍ غَيْرِ مُتَكَافِئَةٍ ، حَيْثُ كَانَ العَدُوُّ يُقَدَّرُ جَيْشُهُ بِمائَتَىْ أَلفٍ ، وَجَيْشُ المُسْلِمِينَ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَدَارَتِ المَعْرَكَةُ ، وَتَقَدَّمَ جَعْفَرٌ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) وَأَخَذَ الرَّايَةَ وَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُطِعَتْ يُمْنَاهُ ،



---

(١) أخرجه ابن سعد (٤/٢٣) .



فَأَخَذَهَا بِيُسرَاه ، وَقَاتَلَ حَتَّى قُطِعَتْ ، فَاحْتَضَنَ الرَّايَةَ حَتَّى قُتِلَ ، فَكَانَ أَوَّلَ طَالِبِيٍّ قُتِلَ فِي الإِسْلَامِ .

كَانَ عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَرٍ (رَضِيَ الله عنهُما) شَهْماً كَرِيماً ، وَكَانَ كَرَمُهُ بِلَا حُدُودٍ ، حَتَّى سُمِّيَ قُطْبُ (١) السَّخَاءِ ، لَا يَبِيعُ مَعْرُوفاً ، وَلَا يَرُدُّ سَائِلًا .

رُوِيَ أَنَّ تَاجِراً مِنَ التُّجَّارِ جَلَبَ سُكَّراً إِلَى المَدِينَةِ ، فَكَسَدَ عَلَيْهِ ، فَبَلَغَ خَبَرُهُ عَبْدَ اللهِ بنَ جَعْفَرٍ ، فَأَمَرَ أَتْبَاعَهُ أَن يَشْتَرُوا السُّكَّرَ باسْمِهِ وَأَن يَهَبُوهُ للنَّاسِ .

وَجَّهَ الخَلِيفَةُ الأُمَوِيُّ يَوْماً مَالًا كَثِيراً هَدِيَّةً مِنْهُ ، فَلَمَّا تَلَقَّاهُ عَبْدُ اللهِ (رَضِيَ الله عنهُ) فَرَّقَهُ عَلَى أَهْلِ المَدِينَةِ ، وَلَمْ يُدْخِلْ مَنْزِلَهُ مِنْهُ شَيْئاً .

لَقَد أَسْرَفَ عَبْدُ اللهِ (رَضِيَ الله عنهُ) عَلَى نَفْسِهِ فِي الجُودِ ، لَا يُبَالِي أَن يَهْلَكَ مَالُهُ أَو أَن يَصِلَ إِلَى أَعْدَائِهِ .

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيرُ رُوحِهِ
لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ الله سَائِلُهُ

الزَّوَاجُ المُتَكَافِئُ

عَاشَتْ زَيْنَبُ الزَّهْرَاءُ بِنتُ الإِمَامِ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ مَعَ عَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ ابنِ عَمِّهَا (رَضِي الله عنهُم) فِي سَعَادَةٍ غَامِرَةٍ فَأَثْمَرَ هَذَا الزَّوَاجُ المُبَارَكُ ،

---

(١) القُطْبُ : من القوم سيدهم ، ومن الشيء : قوامه ومداره .

فَوَلَدَتْ لَهُ : عَلِيًّا ، وَمُحَمَّداً ، وَعَوْناً الأَكْبَرَ ، وَعَبَّاساً ، كَمَا وَلَدَتْ لَهُ بِنْتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا (أُمُّ كُلْثُومٍ) تَزَوَّجَتْ ابنَ عَمِّهَا : القَاسِمَ بنَ مُحَمَّد بنِ جَعْفَر بنِ أَبِى طَالِبٍ ، وَالثَّانِيَةُ : أُمُّ عَبْدِ اللهِ ، تَزَوَّجَتْ وَلَمْ تَعْقِبْ[1] (رَضِىَ الله عنهُم) .

عَاشَتْ زَيْنَبُ وَعَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَرٍ مَعَ الإِمَامِ عَلِيٍّ ابنِ أَبِى طَالِبٍ (رَضِىَ الله عنهُم) ، وَكَانَ شَدِيدَ التَّعَلُّقِ بِهِمَا ، حَتَّى إِذَا تَوَلَّى أَمْرَ المُسْلِمِينَ ، انْتَقَلَا مَعَهُ إِلَى الكُوفَةِ الَّتِى أَصْبَحَتْ مَقَرَّ خِلَافَتِهِ ، فَعَاشَا مَعَهُ وَكَانَا مَوْضِعَ رِعَايَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَإِعْزَازِهِ ، وَوَقَفَ عَبْدُ اللهِ (رَضِىَ الله عنهُ) بِجَانِبِ عَمِّهِ فِى نِضَالِهِ شُجَاعاً مُنَاضِلًا مُقَرَّباً إِلَيْهِ .

عِلْمٌ وَفَضْلٌ

سَمِعَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ (رَضِىَ الله عنهَا) مِن جَدِّهَا ﷺ وَهِىَ صَغِيرَةٌ مَا سَمِعَتْ ، وَعَرَفَتْ مِنْهُ مَا عَرَفَتْ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا إِلَّا أَنَّهُ الرَّكِيزَةُ الأُولَى لِعِلْمِهَا وَمَعْرِفَتِهَا ، وَتَعَلَّمَتْ مِنْ أَبِيهَا الكَثِيرَ ، وَقَد جَالَسَتْهُ وَاسْتَمعَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَشْرَحُ وَيُفَهِّمُ النَّاسَ وَكَانَتْ عَمِيقَةَ الفَهْمِ فى كَلَامِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَكَانَتْ أَحْيَاناً

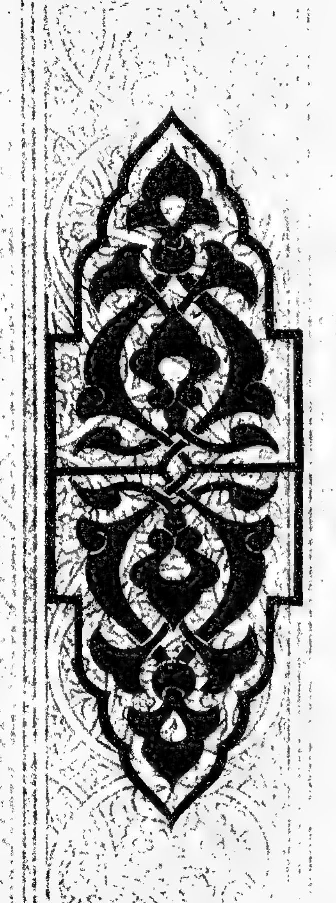
---

(١) أى لم ترزق بأولاد .

تُشَارِكُ أَخَوَيْهَا الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ (رَضِىَ الله عنهُما) ، وَقَد تَتَفَوَّقُ عَلَيْهِمَا .

وَقَد ظَهَرَ ذَلِكَ وَاضِحاً فِيمَا رُوِىَ عَنْهَا فِى شَرْحِهَا لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالمُتَوَاتِرُ عَنْهُ :

« الحَلَالُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَد اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَن وَقَعَ فِى الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِى الحَرَامِ ؛ كَالرَّاعِى يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَن يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مِلِكٍ حِمًى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِى الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِىَ القَلْبُ »[1] .



قَالَتْ زَيْنَبُ (رَضِىَ الله عنهَا) : اسْمَعَا يَا حَسَنُ وَيَا حُسَيْنُ ، إِنَّ جَدَّكُمَا رَسُولَ اللهِ ﷺ مُؤَدَّبٌ بِأَدَبِ الإِلٰهِ ، فَإِنَّ الله أَدَّبَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ ...

ثُمَّ قَالَتْ (رَضِىَ الله عنهَا) : الحَلَالُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ ، فَهُنَاكَ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ فِى الدِّينِ : حلَالٌ ، وَحَرَامٌ ، وَمُشْتَبَهٌ .

---

(١) أخرجه البخارى (٣٠/٧) .

أَمَّا الحَلاَلُ : فَهُوَ مَا أَحَلَّهُ الله تَعَالَى بِأَن جَاءَ القُرْآنُ الكَرِيمُ بِحِلِّهِ ، وَبَيَّنَهُ الرَّسُولُ ﷺ فِي سُنَّتِهِ ، كَحِلِّ الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ وَكَإِقَامَةِ الصَّلاَةِ فِي أَوْقَاتِهَا ، وَالزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ البَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَتَرْكِ الكَذِبِ ، وَالنِّفَاقِ ، وَالخِيَانَةِ .

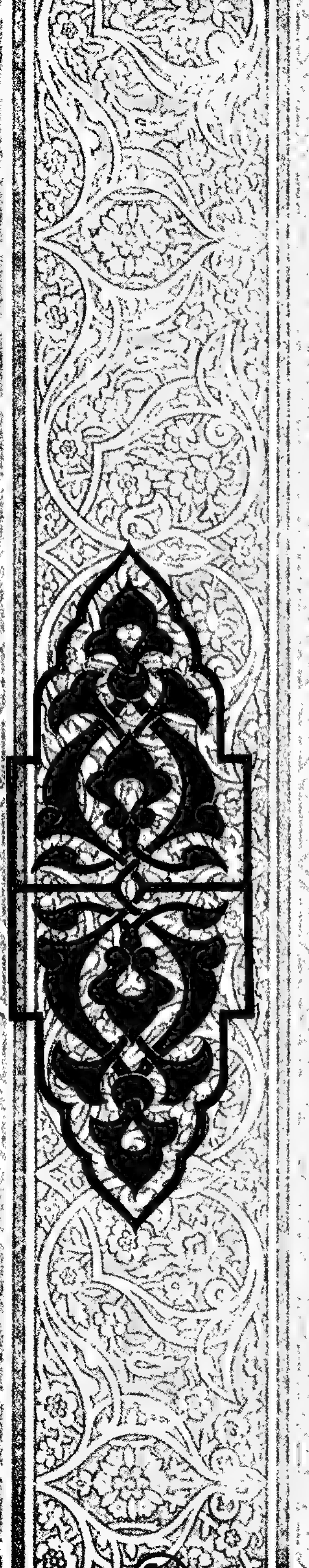
وَأَمَّا الحَرَامُ : فَهُوَ مَا حَرَّمَهُ القُرْآنُ ، وَهُوَ عَلَى النَّقِيضِ مِنَ الحَلاَلِ .

وَأَمَّا المُشْتَبَهُ : فَهُوَ الشَّيءُ الَّذِى لَيْسَ بِالحَلاَلِ وَلَا بِالحَرَامِ .

وَالمُؤْمِنُ الَّذِى يُرِيدُ لِنَفْسِهِ السَّعَادَةَ فِى الدُّنْيَا وَالنَّعِيمِ فِى الآخِرَةِ مَا عَلَيْهِ إِلَّا أَن يُؤَدِّى مَا أَوْجَبَ الله تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَيَسِيرَ فِى طَرِيقِ القُرْآنِ الحَكِيمِ ، وَيَقْتَدِى بِجَدِّى النَّبِيِّ ﷺ ، وَيَتَأَسَّى بِهِ ، وَيَبْتَعِدَ عَن طَرِيقِ الشُّبُهَاتِ مَا اسْتَطَاعَ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَأَصْبَحَ دِينُهُ صَحِيحاً ...

وَقَدْ كَانَ هُنَاكَ عَدَدٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ يَحْفَظُونَ عَنْهَا ، وَيَرْوُونَ لِلأُمَّةِ مَا كَانَتْ تَتَحَدَّثُ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ عَبْدُ الله بنُ عَبَّاسٍ ، وَعَبْدُ الله بنُ جَعْفَرٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنتُ الحُسَيْنِ (رَضِىَ الله عنهُم) ، وَغَيْرُهُم مِمَّن لاَزَمُوهَا ، وَانْتَفَعُوا بِعِلْمِهَا .

وَمِنَ الَّذِينَ انْتَفَعُوا بِعِلْمِهَا عَلِيٌّ زَيْنُ العَابِدِينَ (رَضِىَ الله عنهُ) وَكَانَ يَقُولُ لَهَا : (يَا عَمَّتَاهُ أَنْتِ بِحَمْدِ الله عَالِمَةٌ غَيرُ مُعَلَّمَةٍ ، وَفَاهِمَةٌ غَير مُفَهَّمَةٍ) .



وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهَا لِعِظَمِ تَقْوَاهَا ، وَحُسْنِ صِلَتِهَا بِرَبِّهَا ، كَانَ اللهُ يَفِيضُ عَلَيْهَا مِن فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ : ﴿ ... وَاتَّقُواْ اللَّـهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّـهُ وَاللَّـهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

عِبَادَةٌ وَزُهْدٌ

تَعَلَّمَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ (رَضِىَ الله عنهَا) طَرِيقَ العِبَادَةِ بِمَا رَأَتْ مِنْ عِبَادَةِ أَبِيهَا الإِمَامِ عَلِيٍّ بنِ أَبِى طَالِبٍ ، وَأُمِّهَا السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ (رَضِىَ الله عنهُما) ، وَبِمَا سَمِعَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَمَا كَانُوا يَقُومُونَ بِهِ مِن صَلَاةٍ ، وَصِيَامٍ فِى لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ .

لَقَد سَمِعَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ (رَضِىَ الله عنهَا) وَهِىَ صَغِيرَةٌ جَدَّهَا ﷺ ، وَقَد دَخَلَ عَلَى وَالِدَيْهَا ، فَوَجَدَهُمَا نَائِمَيْنِ ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمَا ، وَقَالَ : أَلَا تَقُومَانِ ؟ أَلَا تُصَلِّيَانِ ؟

فَقَالَ عَلِيٌّ (رَضِىَ الله عنهُ) : يَا رَسُولَ الله ! إِنَّ أَنْفُسَنَا بِيَدِ الله .

وَكَأَنَّهُ ﷺ لَمْ يَرُقْهُ هَذَا الجَوَابَ ، فَانْصَرَفَ وَهُوَ يَضْرِبُ بِيَدَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَيَقُولُ : ﴿ ... **وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا** ﴾ (٢) .

وَكَانَا لَا يَنَامَانِ بَعْدَهَا مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا .

---

(١) سورة البقرة : الآية (٢٨٢) .
(٢) سورة الكهف : الآية (٥٤) ، وانظر الدر المنثور سورة الكهف : الآية (٥٤) .

رَأَتْهُمَا زَيْنَبُ (رَضِىَ الله عنهَا) وَهِىَ صَغِيرَةٌ ، فَكَانَتْ تُحَاكِيهِمَا ، وَتَسْتَمِعُ إِلَيْهِمَا ، وَبِذَلِكَ تَعَوَّدَتِ القِيَامَ بِاللَّيْلِ ، وَكَانَتْ تَنْهَضُ مِن فِرَاشِهَا فَتُصَلِّى لله ، وَتَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ ، وَتَوَدُّ مِنْهُ القَبُولَ ، وَرَفْعَ الدَّرَجَاتِ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَتَذْكُرُ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ...** ﴾[1] .

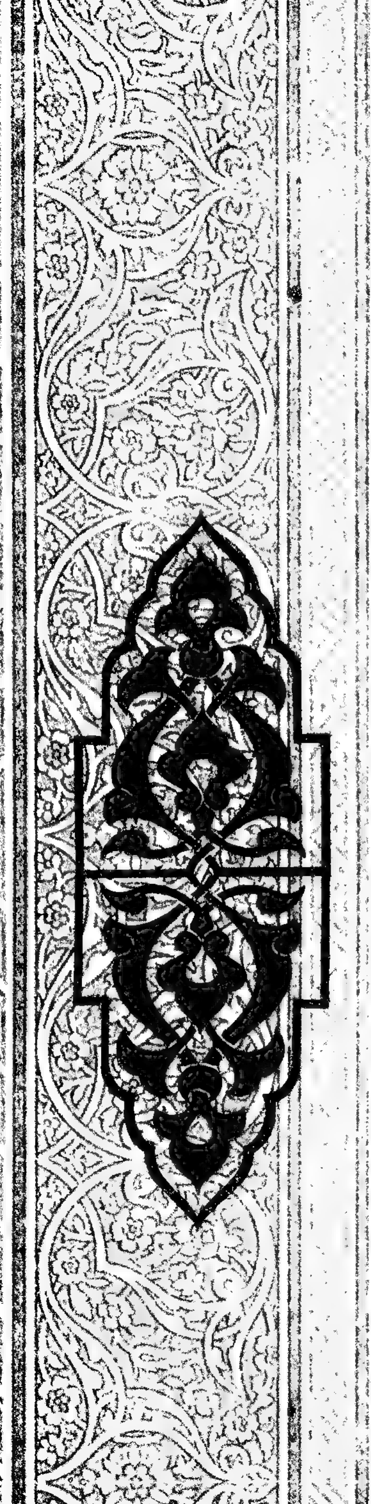
كَانَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ (رَضِىَ الله عنهَا) مِنْ خِيرَةِ القَائِمِينَ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَفِى طَلِيعَةِ الرَّاكِعِينَ وَالسَّاجِدِينَ لَيْلًا وَنَهَاراً .

لَقَد كَانَتْ (رَضِىَ الله عنهَا) دَائِماً تُرَدِّدُ مَا قَالَهُ جَدُّهَا ﷺ ، وَرُوِىَ عَنْهُ قَوْلُهُ : « أَتَانِى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، عِشْ مَا شِئْتَ ، فَإِنَّكَ مُفَارِقٌ ، وَأَحْبِبْ مَن شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِىٌّ بِهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ المُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ ، وَأَنَّ عِزَّ المُؤْمِنِ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ »[2] .

فَكَانَتْ (رَضِىَ الله عنهَا) بِذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ المُتَّقِينَ الَّذِينَ يَقُولُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ **كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾[3] .

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١٩١) . (٢) الحلية (٣/٢٥٣) .
(٣) سورة الذاريات : الآيتان (١٧ ، ١٨) .



مُنَاجَاةٌ

كَانَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ الإِمَامِ عَلِيٍّ بن أَبِى طَالِبٍ (رَضِىَ الله عنهُما) دَائِمَةَ المُنَاجَاةِ للهِ جَلَّ وَعلَا وَذَاكِرَةً لَهُ فِى شِعْرِهَا وَنَثْرِهَا .

فَمِنَ الشِّعْرِ قَوْلُهَا (رَضِىَ الله عنهَا) :

وَكَمْ للهِ مِن لُطْفٍ خَفِىٍّ
يَدقُّ خَفَاهُ عَن فَهْمِ الذَّكِىِّ
وَكَمْ يُسْرٌ أَتَى مِن بَعْدِ عُسْرٍ
فَفَرَّجَ كُرْبَةَ القَلْبِ الشَّجِىِّ (١)
وَكَمْ أَمْرٌ أَسَاءَ بِهِ صَبَاحاً
وَتَأْتِيكَ المَسَرَّةُ بِالْعَشِىِّ
إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الأَحْوَالُ يَوْماً
فَثِقْ بِالوَاحِدِ الفَرْدِ العَلِىِّ
وَلَا تَجْزَعْ إِذَا مَا نَابَ خَطْبٌ
فَكَمْ للهِ مِن لُطْفٍ خَفِىٍّ

★ ★ ★

وَمِنَ النَّثْرِ – وَمَا أَكْثَرَهُ – قَوْلُهَا (رَضِىَ الله عنهَا) :

(يَا مَن لَبِسَ العِزَّ وَتَرَدَّى بِهِ ، سُبْحَانَ مَن تَعَطَّفَ بِالْمَجْدِ وَتَكَرَّمَ ، سُبْحَانَ مَن لَا يَنْبَغِى التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ جَلَّ جَلَالُهُ ، سُبْحَانَ مَنْ أَحْصَى كُلَّ شَىْءٍ بِعِلْمِهِ

---

(١) الحزين الباكى .

وَخَلْقِهِ وَقُدْرَتِهِ ، سُبْحَانَ ذِى العِزَّةِ وَالنَّعِيمِ ، سُبْحَانَ ذِى القُـدْرَةِ وَالكَرَمِ .

اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ بِمَعَاقِدِ [1] العِزِّ مِنْ عَرْشِكَ ، وَمُنْتَهَى الرَّحْمَةِ مِن كِتَابِكَ ، وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ وَجَدِّكَ [2] الأَعْلَى ، وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّاتِ الَّتِى تَمَّتْ صِدْقاً وَعَدْلاً أَن تُصَلِّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَأَن تَجْمَعَ لِى خَيْرِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

اللَّهُمَّ أَنْتَ الحَىُّ القَيُّومُ ، أَنْتَ هَدَيْتَنِى ، وَأَنْتَ تُطْعِمُنِى وَتَسْقِينِى ، وَأَنْتَ تُمِيتُنِى وَتُحْيِينِى ، فَارْحَمْنِى يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) .

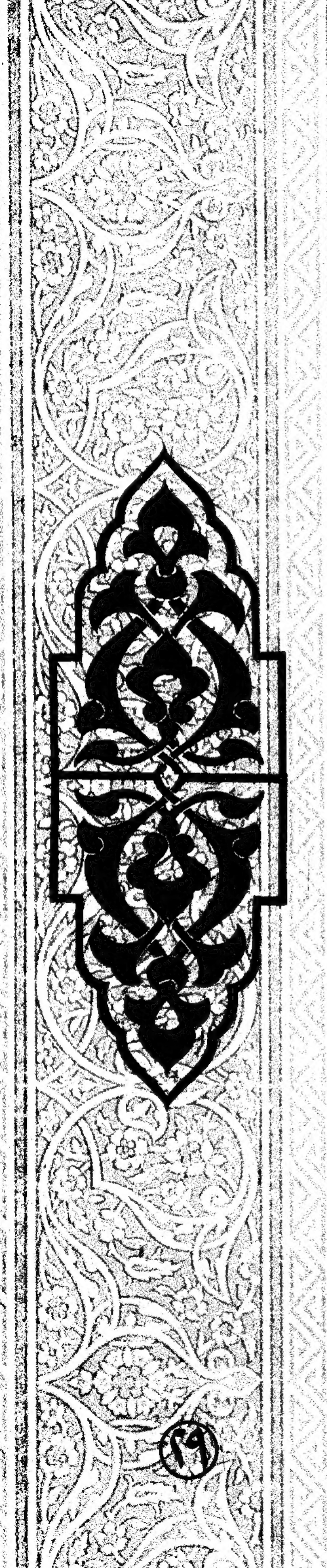
ومِمَّا كَانَتْ تُنَاجِى بِهِ رَبَّهَا قَوْلُهَا (رَضِىَ الله عنهَا) : (يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ ، وَيَا فَخْرَ مَنْ لَا فَخْرَ لَهُ ، وَيَا سَنَدَ مَنْ لَا سَنَدَ لَهُ ، وَيَا حِرْزَ الضُّعَفَاءِ ، وَيَا كَنْزَ الفُقَرَاءِ ، وَيَا سَمِيعَ الرَّجَاءِ ، وَيَا مُنْجِى الغَرْقَى ، وَيَا مُنْقِذَ الهَلْكَى ، وَيَا مُحْسِنُ ، يَا مُجْمِلُ ، يَا مُنْعِمُ ، يَا مُتَفَضِّلُ . أَنْتَ الَّذِى سَجَدَ لَهُ سَوَادُ اللَّيْلِ وَضَوْءُ النَّهَارِ ، وَشُعَاعُ الشَّمْسِ ، وَحَفِيفُ [3] الشَّجَرِ ، وَدَوِىُّ المَاءِ) .

---

(١) **جمع معقد** : أى قريب المنزلة وموضع العقد .

(٢) **الجَدُّ** : المكانة والمنزلة عند الناس ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ **وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً** ﴾ [الجن : ٣] . وفى الحديث : « تَبَارَكَ اسمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ » .

(٣) أى صوت الشجر وحركته .



كَانَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ (رَضِىَ الله عنهَا) دَائِمَةَ الاسْتِغْرَاقِ مَعَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، تَذْكُرُهُ فِى نَوْمِهَا وَيَقَظَتِهَا ، وَفِى جَمِيع حَالَاتِهَا ، فَارْتَفَعَتْ بِذَلِكَ رُتْبَتُهَا ، وَعَظُمَتْ عِنْدَ اللهِ مَقَامَاتُهَا ، وَكَانَ فِيهَا لِلْمُؤْمِنِينَ أُسْوَةٌ وَقُدْوَةٌ طَيِّبَةٌ ، بِهَا يَهْتَدِى الْمُهْتَدُونَ ، وَيَصِلُ إِلَى اللهِ الوَاصِلُونَ .

فِى الكِنَانَةُ

اخْتَارَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ (رَضِىَ الله عنهَا) دَاراً لإِقَامَتِهَا ، وَهِىَ تَعْلَمُ أَنَّ مِصْرَ ذُكِرَتْ فِى القُرْآنِ الكَرِيم بِضْعَ مَرَّاتٍ ، وَأَنَّهَا بَلَدُ الأَمْنِ وَالأَمَانِ ، وَذَكَرَهَا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِى قِصَّةِ يُوسُفَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ﴿ **فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾ (١) .

وَمِصْرُ كَانَ فِيهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُوَحِّدُونَ مِنْ أَيَّامِ الفَرَاعِنَةِ ، وَيُحَدِّثُنَا القُرْآنُ الكَرِيمُ عَنْ قِصَّةِ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، وَفِرْعَوْنَ ، وَطَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ آمَنَتْ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَمْ يَهمُّهُمْ مَا سَيَفْعَلُهُ فِرْعَوْنُ بِهِمْ (٢) .

وَأَيْضاً مَا رُوِىَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ ـــ وَحَتَّى قَبْلَ انْتِقَالِهِ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى ـــ كَانَ يُوصِى بِأَهْلِ مِصْرَ فَقَالَ :

---

(١) سورة يوسف : الآية (٩٩) .

(٢) اقرأ فى القرآن الكريم قصة موسى – عليه السلام – وفرعون والسحرة المؤمنين فى سورة الشعراء من الآية (١٠ – ٥٠) .

« إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضاً يُذْكَرُ فِيهَا القِيرَاطُ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْراً ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً »[1] .

هَذَا فَضْلًا عَلَى أَنَّ أُمَّ العَرَبِ مِنْهَا وَهِيَ السَّيِّدَةُ هَاجَرُ أُمُّ سَيِّدِنَا إِسْمَاعِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) .

لَقَد سَمِعَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ (رَضِيَ الله عنهَا) عَن مِصْرَ وَمَحَبَّتِهِمْ لِأَهْلِ البَيْتِ النَّبَوِيِّ ، وَعَظِيم عَطْفِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ ، وَوَلَائِهِمْ لِذَوِي القُرْبَى ، وَلَمَا تَعْرِفُهُ مِنْ أَنَّ مِصْرَ كِنَانَةُ الله فِي أَرْضِهِ ، مَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ مِن جَبَّارٍ قَصَمَهُ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ .

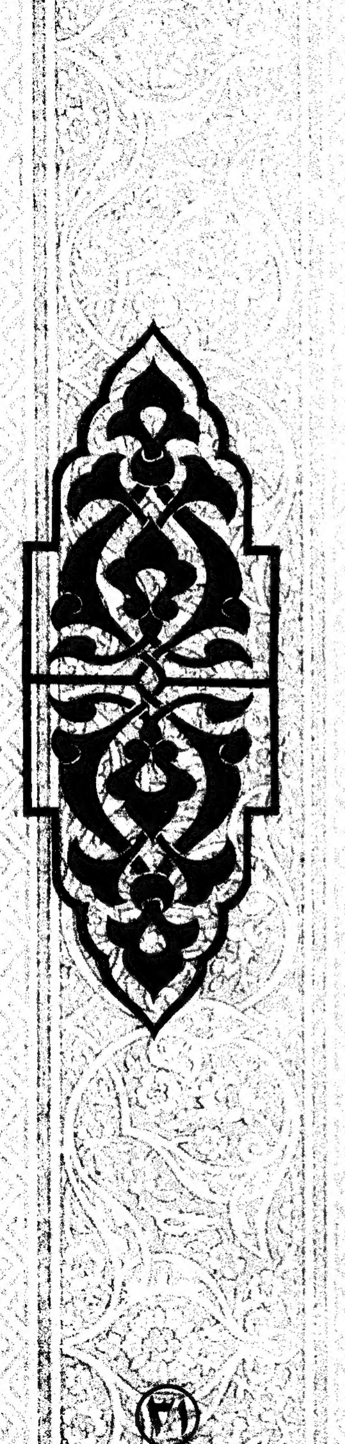
سَارَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ (رَضِيَ الله عنهَا) وَمَعَهَا أَهْلُ البَيْتِ الكِرَام ، نَذْكُرُ مِنْهُم السَّيِّدَة فَاطِمَةَ بنتَ الحُسَيْنِ ، وَمَسْجِدُهَا مَعْرُوفٌ بِاسْم مَسْجِدِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ النَّبَوِيَّةِ بِالقَاهِرَةِ ، وَكَذَلِكَ السَّيِّدَةُ سُكَيْنَةُ بنتُ الحُسَيْنِ وَغَيْرُهُمَا (رَضِيَ الله عنهُم أجمعين) .

وَلَمَّا دَخَلَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بنتُ عَلِيٍّ (رَضِيَ الله عنهُما) مِصْرَ ، كَانَ وَالِي مِصْرَ مَسْلَمَةَ بنَ مُخَلَّدٍ الأَنْصَارِيَّ وَقَد تَوَجَّهَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَرَهْطٌ كَبِيرٌ مِنْ أَعْيَانِ مِصْرَ وَعُلَمَائِهَا وَوُجَهَائِهَا وَتُجَّارِهَا لِيَكُونُوا فِي اسْتِقْبَالِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ (رَضِيَ الله عنهَا) عِنْدَمَا تَطَأُ قَدَمَاهَا أَرْضَ مِصْرَ .

اسْتَقْبَلُوهَا وَمَن مَعَهَا جَمِيعاً اسْتِقْبَالًا حَافِلًا يَلِيقُ

---

(١) أخرجه البيهقي (٢٠٦/٩) .



بِمَقَامِهَا الكَرِيمِ عِنْدَ قَرْيَةٍ عَلَى طَرِيقِ مِصْرَ وَالشَّامِ شَرْقِيَّ مَدِينَةِ (بِلْبِيس) بِمُحَافَظَةِ الشَّرْقِيَّةِ وَقَد عُرِفَتْ هَذِهِ القَرْيَةُ فِيمَا بَعْدُ باسْمِ قَرْيَةِ (العَبَّاسَةِ) نِسْبَةً لِلْعَبَّاسَةِ بنتِ أَحْمد بنِ طُولُونَ وَالِى مِصْرَ، وَكَانَ دُخُولُ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ (رَضِىَ الله عنهَا) مِصْرَ فِى شَهْرِ شَعْبَانَ سَنَة وَاحِد وَستين هِجْرِيَّةً .

وَلَمَّا وَصَلَتِ العَاصِمَةَ ، أَنْزَلَهَا الوَالِى مَسْلَمَةُ وَمن مَعَهَا فِى دَارِهِ مُعَزَّزَةً مُكَرَّمَةً ، وَبَقِيَتْ مَوْضِعَ إِجْلَال وَاحْتِرَامِ المِصْرِيِّينَ ، حَيْثُ كَانُوا يَفِدُونَ إِلَى بَيْتِهَا ، مُسْتَمِعِينَ إِلَى مَا تَرْوِيهِ مِنَ الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَمَا عَرَفَتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ .

رَحِيلٌ إِلَى اللَّهِ

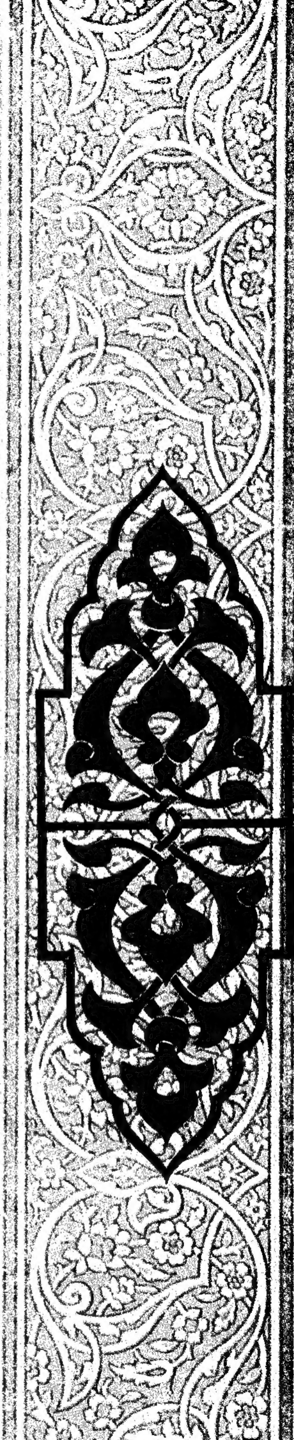
لَمْ تَطُلْ إِقَامَتُهَا طَوِيلًا فِى هَذِهِ الدَّارِ ، فَلَمْ تَتَجَاوَزْ إِقَامَتُهَا إِلَّا أَقَلَّ مِنْ عَامٍ ، وَلَمْ تُرَ خِلَالَ هَذِهِ الإِقَامَةِ إِلَّا عَابِدَةً مُصَلِّيَةً قَوَّامَةً تَالِيَةً لِلْقُرْآنِ الكَرِيمِ .

ثُمَّ وَافَاهَا الأَجَلُ المَحْتُومُ فى مُنْتَصَفِ رَجَبٍ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَستِّينَ هِجْرِيَّةً ، فَدُفِنَتْ حَيْثُ أَقَامَتْ فِى دَارِ مسْلَمَةَ ، فَلَقِيَتْ رَبَّهَا رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً .

لَقَد بَنَوْا بِجِوَارِ مَرْقَدِهَا مُصَلًّى ، ظَلَّ يَتَعَهَّدُهُ الوُلَاةُ وَالحُكَّامُ بِالعِنَايَةِ وَالرِّعَايَةِ إِلَى أَن وَصَلَ إِلَى مَا عَلَيْهِ الآنَ .

رَحِمَهَا الله رَحْمَةً وَاسِعَةً وَرَضِىَ عَنْهَا .

★ ★ ★



دار الفضيلة
للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة : القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس : ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة : ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات : دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

وكيلنا في المملكة المغربية :
دار الاعتصام
للطباعة والنشر والتوزيع
الرحماني عبد الكريم
35 - 33 الشارع الملكي (الأحباس) - الدار البيضاء
الهاتف 30.42.85 - الفاكس 44.45.39



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٣ ٧٦ / ١٩٩٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدي - ١١٢٣١